د/ فركوس ياسر **المحاضرة الثامنة**

الفتوحات الإسلامية

قبل كل شئ يطلب من الطالب الرجوع الي بعض المصادر و المراجع لهذه المحاضرة :

- محمد سهيل طقوش ،تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية المؤلف،دار النفائس ،ط1، 2003م.
- **الشيخ علي الطنطاوي ، فكر ومباحث، مكتبة المنارة. مكة- الطبعة الثانية 1936.**
- شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج10 ، دار المعارف – مصر،1995 ، ص24 .
- جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ج1 ، 2001 .

أصل العرب:

يذهب المؤرخون إلي أنهم أصناف منهم الاولي **العرب البائدة :** وفي هذا يلاحظ أن هلاكهم كان بسبب كوارث طبيعية نزلت بهم مثل انحباس المطر جملة سنين مما يؤدي إلى هلاك الحيوان وجوع الإنسان، ونجد ذكر هذه الكوارث في القرآن الكريم وفي الأخبار الواردة عن هلاك القبائل المذكورة فيه، أو التي لم ترد فيه، وإنما يذكر أسماءها أهل الأخبار و هم :عاد، وثمود، وطسم، وجديس، وأميم، وجاسم، وعبيل، وعبد ضخم، وجرهم الأولى، والعمالقة ، هؤلاء هم مادة العرب البائدة ، وهم أقدم طبقات العرب على الإطلاق في نظر أهل الأخبار[1].

كما يخلفهم **العرب العاربة** والذين يطلق عليهم كذلك القحطانيين من سبأ اليمن ليخالطوا و يتزاوجوا بالعدنانيين أي **العرب المستعربة** والذين يعودون إلي سيدنا إسماعيل عليه السلام وهم قبائل رحالة عمروا الحجاز و الشام و العراق.

العرب قبل الإسلام:

كان العرب قبل الاسلام في ضلال مبين علي الشرك عاكفون و علي اللهو سامرون ومما صنعوا الاصنام هم يعبدون و اذا تاجروا يكتنزون فيربون اذ يقول ابن خلدون في وصفهم:" أنهم لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة والسّبب في ذلك أنّهم لخلق التّوحّش الّذي فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض للغلظة والأنفة وبعد الهمّة والمنافسة في الرّئاسة فقلّما تجتمع أهواؤهم فإذا كان الدّين بالنّبوءة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدّين المذهب للغلظة والأنفة الوازع عن التّحاسد والتّنافس فإذا كان فيهم النّبيّ أو الوليّ الّذي يبعثهم على القيام بأمر الله يذهب عنهم مذمومات الأخلاق ويأخذهم بمحمودها ويؤلّف كلمتهم لإظهار الحقّ تمّ اجتماعهم وحصل لهم التّغلّب والملك وهم مع ذلك أسرع النّاس قبولا للحقّ"[2].

الفتح الإسلامي:

أعظم الحوادث التاريخية كلها، في أبواب العظمة كلها، لا يدانيه في ذلك حادث في تاريخ الشرق والغرب، القديم منه والحديث.أما في الحروب فإن التاريخ يعرف كثيراً من الفاتحين، منذ عهد الإسكندر ومن قبل الإسكندر، إلى عهد نابليون ومن بعد نابليون، ولكنه لم يعرف

فتحاً أوسع ولا أسرع من (الفتح الإسلامي) الذي امتد في اثني عشر عاماً فقط من طرابلس الغرب إلى آخر بلاد العجم، وحاز مصر وسورية وفارس كلها... على أن ميزة الفتح الإسلامي ليست في السعة والسرعة وحدهما، ولكن ميزته الكبرى أنه فتح أبدي، فلم يعرف عن المسلمين أنهم دخلوا بلاداً وخرجوا منها؛ ذلك أنهم لا يفتحون البلاد بسيوفهم شأن كل الفاتحين، ولكنهم يفتحون القلوب والعقول، بعدلهم وعلمهم، فلا تلبث البلاد المفتوحة أن تندمج بالمسلمين، وتصبح أغير على الإسلام من المسلمين الفاتحين[3].

إن الفتح الإسلامي اشتمل علي :

- الفتح بالدعوة وعرض الدين و نشره شرط الإقبال علي الإسلام.
- الفتح بدفع الجزية إذا لم يقبل أهل البلد علي الإسلام.
- الفتح بالسيف أو عنوة إذا رفض الإسلام والجزية معا.

ما جاء من الوحي في الفتح:

و قد جاء الفتح و توسع الاسلام ودولته ما اخبر به النبي الكريم في احاديثه الشريفة و هي كثيرة و في هذا الصدد نذكر الحديث الذي اورده ابن حبان في صحيحه ، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عنه قال عن النبي محمد صلي الله عليه و سلم قال[4]:**" إِنَّ اللَّهَ زَوَى لي الأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها، وإِنَّ أُمَّتي سَيَبْلُغُ مُلْكُها ما زُوِيَ لي مِنْها"**. يُخبِرُ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ عن بَعضِ ما أنْعَمَ اللهُ سُبحانَه وتَعالَى عَليه وعَلى أُمَّتِه، وعن سَعةِ انتِشارِها في الأرضِ؛ فيَقولُ: «إنَّ اللهَ زَوى ليَ الأرضَ»، أي: قَبَضَها وجَمَعَها مرَّةً واحدةً أمامي، فرَأيْتُ مَشارِقَها ومَغاربَها وجَميعَ أقطارِها ونَواحِيها، حتَّى أبصَرَ النَّبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ ما تَملِكُه أُمَّتُه مِن أقْصى المشارِقِ والمغارِبِ منها.

عن تميمٍ الدَّاريِّ رَضِيَ اللَّهُ عنه قال: قال رسولُ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم : **"ليبلُغَنَّ هذا الأمرُ ما بلغَ اللَّيلُ والنَّهارُ، ولا يترُكُ اللَّهُ بيتَ مَدَرٍ ولا وَبَرٍ إلَّا أدخَلَه اللَّهُ هذا الدِّينَ، بعِزِّ عزيزٍ أو بذُلِّ ذليلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ به الإسلامَ، وذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ به الكُفرَ"** .وكان تميمٌ الدَّاريُّ يقولُ: قد عرَفْتُ ذلك في أهلِ بيتي، لقد أصاب من أسلَمَ منهم الخَيرَ والشَّرَفَ والعِزَّ، ولقد أصاب من كان منهم كافِرًا الذُّلَّ والصَّغارَ والجِزيةَ[5].

الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب :

كان عهد عمر بن الخطاب عهد فتوح، اذ حالف النصر فيه المسلمين، فامتدت رقعة دولتهم حتى جاورت أفغانستان، والصين شرقًا والأناضول، وبحر قزوين شمالًا وتونس غربًا، وبلاد النوبة جنوبًا، وكان لا بد لهذه الدولة المترامية الأطراف من تنظيم حتى تستمر، وقدر لعمر بن الخطاب أن يكون رائد هذا التنظيم بما استوحى من نهج من سبقه، النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر الصديق، وربما طرأ على أوضاع المسلمين السياسية، والاجتماعية والاقتصادية بفعل احتكاكهم الحضاري بشعوب البلاد المفتوحة، ونمو الدولة بسرعة مذهلة، فكان على حاكمها أن يتابع هذا التطور في النمو.

التفت عمر، في بادئ الأمر، إلى تنظيم مركز القوة الدافعة في بلاد العرب، ثم عمل على توثيق الروابط بين أجزاء الدولة، وتأكيد تضامنها، فإن التطور الذي طرأ على أجهزة الحكم في عهده يعد نقلة نوعية في إطار بناء الدولة بما يتجاوز مفهوم العرب لها.كانت الدلالة

المباشرة للخلافة، أن الخليفة هو خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ينتهج نهجه، ويسلك مسلكه[6].

وكان أمام كل فتح يخلق حدوداً جديدة تتعرض للخطر فتوحي بفتح جديد. وأراد المسلمون أن يحكموا مصر الإسلامية من هجوم على جناحها الغربي من قيرين البيزنطية ، تقدم الجيش الإسلامي بقيادة عمرو بن العاص لفتح برقة وطرابلس لحماية حدود مصر الغربية من خطر البيزنطيين ويمكن أن يستردوا مصر من هذا. حاصر عمرو برقة سنة 22هـ، وعرض على أهل برقة وهم من قبيلة لواتة البربرية الإسلام أو الجزية أو القتال فاختاروا الصلح ودفع الجزية.

وصلوا قرب قرطاجة وغرس قائد المسلمين رمحه في الرمل جنوبي مدينة تونس الحالية بنحو ثمانين ميلاً، وأقام في هذه النقطة معسكره، وأنشأ بذلك 670م مدينة من أكبر المدائن الإسلامية وهي مدينة القيروان ونسي البربر إلى حين حقدهم على الروم فانظموا إليهم في الدفاع عن المدينة، فظلت تقاوم المسلمين ولم تخضع إليهم إلا في عام 698م[7].

الفتوحات في عهد غثمان بن عفان :

بعد تولي الخليفة عثمان بن عفان خلافة الدولة الإسلامية قرر مواصلة فتح شمال إفريقيا، وكلف بذلك والي مصر عبدالله بن سعد بن أبي السرح، الذي توجه إلى أرض إفريقية (تونس) واقترب من مدينة سبيطلة عاصمة الروم هناك، والتقى الجيشان. وانتصر المسلمون في هذه الموقعة انتصاراً حاسماً، وقتل جرجير البيزنطي على يد عبدالله بن الزبير الذي كان مشاركاً في الحملة، ودخل المسلمون عاصمتهم سبيطلة، وغنم العرب ما تركه الروم من غنائم كثيرة.

ثم توقفت الفتوحات في إفريقية بسبب الفتنة التي حدثت في أواخر عهد الخليفة عثمان بن عفان وعصر الخليفة علي بن أبي طالب، وعندما استقر الأمر لمعاوية بن أبي سفيان تجدد نشاط الفتوحات الإسلامية في إفريقية

عهد معاوية بن أبي سفيان:

رأى الخليفة معاوية بن أبي سفيان أن يفصل ولاية إفريقية عن مصر، ويجعل لها عاملاً مستقلاً، فعين عليها عقبة بن نافع سنة 50هـ. وبدأ عقبة ولايته على إفريقية بتوطيد

نفوذ المسلمين فيها وتثبيت أقدامهم بإقامة مدينة عربية تكون بمثابة قاعدة عسكرية ثابتة لهم في بلاد المغرب، فشرع في بناء مدينة القيروان. ويسجل لنا التاريخ أن عقبة بن نافع ركب مع وجوه العسكر من التابعين والعباد فدار بهم حول مدينة القيروان وهو يدعو لها ويقول: "يا رب املأها فقهاء وعلماء، وأعمرها بالمطيعين والعابدين، واجعلها عزاً لدينك، وذلاً لمن كفر بك، وأعز بها الإسلام، وأصلح بها المغرب، وامنعها عن جبابرة الأرض".

و في سنة 55 ه عين مكان عقبة أبا مهاجر ابن دينار ولما نزل أبو المهاجر تلمسان كان كسيلة ابن لزم أميرا على البرانس كلهم. انتصر عليه أبو المهاجر وعرض عليه الاسلام فأسلم. واستنقذه وأحسن اليه وصحبه" ، ثم حدث و عاد عقبة مكان ابا مهاجر وجاء معه زهير ابن قيس البلوي وقد استخلفه عقبة على القيروان بعد تجديدها، ومضى عقبة لتوسيع دائرة الفتح الاسلامي نحو الغرب ، ففتح بغايا خنشلة وحارب الروم ، ودخل الي الزاب، وتيهرت، وبلاد تلمسان حتى وصل إلى مدينة طنجة ،و بسبب خلاف بين عقبة و مهاجر سجن عقبة ابا مهاجر و كسيلةلينقلب علي عقبيه كسيلة ويرتد عن الإسلام ليعود إلي قتال المسلمين و يستشهد عقبة و يقتل زهير المرتد كسيلة ، كان ذلك فترة خلافة يزيد بن معاوية .

عندما فتح الصحابي أبو المهاجر دينار مدينة ميلة (ميلاف قديما)، والتي كانت تحت الاحتلال البيزنطي (647-534م) ويدين سكانها بالمسيحية. شُيد المسجد المسمى بـ"أبو المهاجر دينار"، ثاني أقدم مسجد في دول المغرب العربي بعد مسجد القيروان في تونس59 سنة ه678 م[8] .

ان الفتوحات الاسلامية التي بدأ بها الصحابة رضوان الله عليهم لم تنتهي عند نقطة محددة لرسم الحدود تارة و حماية الحدود التي فتحت تارة اخري .

كان التوجه نحو غرب المتوسط يقتضي فعلا جهدا جبارا و وقتا واسعا و تحصينا للحدود لرد الهجمات البيزنطية و إخماد ثورات البربر ، لذلك كان الفتح الإسلامي للجزائر علي مراحل و احيانا حسب الظروف في المشرق خاصة ما حدث في خلافة عثمان و ما تلته من فتن و خلافات انتهت باستشهاده رضي الله عنه .

عهد عبد الملك بن مروان:

أرسل الخليفة الأموي فى سنة 71 ه إلى المغرب حسان بن النعمان أحد ولاة القيروان ورأى فى بدء حكمه أن البلاد لن تهدأ ما دامت قرطاجة لم تستسلم وما دامت بها الجالية الرومية الكبيرة التى تنزلها، والتى تتجسس منها لحساب بيزنطة والتي تعيث وتفسد فى البلاد موغرة صدور البربر على العرب بكل وسيلة، فحاصرها وافتتحها وهدم أسوارها حتى لا يتجمعوا فيها مختبئين مرة ثانية، وطهّر ميناء بنزرت وشمال إفريقية التونسية من الروم، وفرض الجزية على من بقى على دينه النصراني منهم ومن البربر. وفي عهده انهزم امام الكاهنة زعيمة قبيلة جراوة من قبائل زنانة بجبال أوراس وانهزم المسلمون وطاردتهم حتى قابس، ومكث بمدينة سرت فى ليبيا خمس سنوات ينتظر المساندة و الدعم من الخليفة عبد الملك، وجاءه مدد ضخم سنة 80ه تقدم نحو جبال الاوراس لقتال الكاهنة حتى كانت الموقعة الفاصلة فانهزمت ، وولّت وجهها نحو تبسّه هاربة ولحقتها كتيبة فتكت بها، واستأمن إليه من بقى من جيشها على الإسلام فأمّنهم وأمّن سكان أوراس الجزائريين جميعا على أن يكون منهم اثنا عشر ألفا مجاهدين معه، فأجابوا وأسلموا وحسن إسلامهم وولّى أكبر أبناء الكاهنة على قومه من جراوة وعلى جبل أوراس، وأكرمهم وأكرم أبناء الكاهنة، ليسود الاستقرار[9] .

تم بذلك أمر الله بفتح الشرق و الغرب و ملك المسلمين فيما بينه لرسوله صلي الله عليه وسلم فلم تنقضي السنة مئة هجري حتى تم فتح المغرب الإسلامي بإخراج الروم ومحاربة معاونيهم من البربر وإقبال الكثير منهم علي الدين فصاروا بذلك اشد دفاعا عنه وعن أرضهم التي طهرت من الشرك و الكفر.

---

[1] جواد علي، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقي، ج1 ، 2001 ، ص353 .

[2] ابن خلدون ، المصر السابق ، ج1 ، 189 .

[3] **الشيخ علي الطنطاوي ، فكر ومباحث، مكتبة المنارة. مكة- الطبعة الثانية 1936 ،ص135.**

[4] صحيح ابن حبان 7238، صحيح مسلم 2889 .https://dorar.net/hadith/sharh/20704

[5] رواه الامام أحمد في مسنده ، 19657 .

[6] محمد سهيل طقوش ،تاريخ الخلفاء الراشدين الفتوحات والإنجازات السياسية المؤلف،دار النفائس ،ط1، 2003م،ص323 .

[7] ول ديورَانت، المرجع السابق ،ص264 .

[8] شوقي ضيف، تاريخ الأدب العربي، ج10 ، دار المعارف – مصر،1995 ، ص24 .
[9] المرجع نفسه، ص 25 .